الفرد والمجتمع واثرهما في عملية الابداع الفني

لاشك بأن الفن يكشف القيم الجمالية وبأنه وسيلتنا لوضع معايير لهذه القيم مهما اختلفت تعريفاته بين كونه تعبير عن انفعال اوكونه قدرة الفنان على نقل افكاره ومشاعره للجمهور بحيث يستطيع هذا الجمهور ان يحس بها ويعيشها ويكتسب التجربة التي لولا الفنان ماكان له ان يكتسبها.وايا ماتكن تعريفات الفن فأن تأثيره على الحياة امر لاشك فيه والحقيقة ان محاولة فصله عنها والتحدث عنه على انه شيء مفرد في ذاته يعالجه اشخاص متميزون هوتفكير قد جعل من الفن قضية ارستقراطية ابعدته عن الحياة وهو امربعيد عن الصواب اذ ان الفن ليس بمعزل عما نفعله ونتذوقه في حياتنا اليومية.

ولكن قد يثار سؤال مهم في هذا الخصوص وهو هل يعتبر الفن قبل كل شيء انتاجا للجماعة سواء تم التعبير عنه مباشرة مع اغفال اسم مبدعه،ام انه لكي يخرج الى حيز الوجودينطبع بشكل الفنان واسمه مادام الفنان بنفسه هوالذي يخلقه ويستخدم فيه ادواته ؟ام ان العبقرية الابداعية ميزة خالصة للفرد الذي يخرج كل شيء من صميم اعماقه دون ان يدين بشيء لبيئته او لمجموعته التي يعيش فيها،وهنا لابد من ان نفهم معنى الابداع اولا حتى تتضح لنا الاجابة فمما لاشك فيه ان مشكلة الابداع الفني من اعمق المشاكل الفنية واعقدها كونها ترتبط بماهو خاص(الاعماق الدفينة للفنان التي ينبثق عنها عمله الفني)وماهوعام(اصولها الاجتماعية وارتباطها بالمجتمع)ولاهمية هذه المشكلة تناولها الباحثون بكثرة وتشعبت الاراء والمواقف حولها ولذلك لم يكن من السهل ايجاد مفهوم محدد للابداع الاننا سنشير الى مجموعة من التعريفات منها تعريف (شتاين)الذي يعرف الابداع على انه ((عملية ينتج عنها عمل جديد يرضي جماعة ما اوتقبله تلك الجماعة على اساس انه مفيد))وتعريف(سيمبسون) بانه((المبادرة التي يبديها الشخص بقدرته على الانشقاق من التسلسل العادي في التفكير الى ما هو مخالف كليا))اومثلما يعرفه(كلوبفر) بأنه((استعداد الفرد لتكامل القيم والحوافز الاولية بداخل تنظيم الذات والقيم الشعورية ،وكذلك تكامل الخبرة الداخلية مع الواقع الخارجي ومتطلباته)).ومن هذه التعريفات يمكن الاستنتاج بأن الابداع عملية تعتمد على مجموعة من القدرات تتميز بعدد من الخصائص اهمها الحساسية للمشكلات ،الطلاقة،الجدة،الاصالة،التفرد،المرونة.وكون العملية الابداعية مرتبطة بالفن فان الابداع الفني لايكون النتاج المختلف في ميادينالموسيقى والادب والتشكيل ..الخ الذي يتميز بالخصائص السابقة ويشكل اضافة جديدة للمعرفة البشرية في ميدان الفن.

وهنا قد تتفاوت الاجابة على السؤال الذي طرحناه انفا بين من يرد العملية الابداعية للفرد وبين من يردها للمجتمع وبين من يشركهما فيها معا.ففي نظر البعض ان الابداع الفني عمل فردي والمجتمع –مثلما هو الحال في اي مجال اخر-لايخترع شيئا وانما يكتفي بالاحتفاظ بالعمل الفني وبنقله على اكثر تقدير،فالفرد اكثر واقعية من الجماعة والشخصية تطبع الاعمال بالقدر الصحيح لعبقريتها ولهذا فان اكبر الفنانين لايتحدد وجودهم بمجتمع ولابعصر لانهم يتجاوزون هذه التقسيمات ولاشك ان مايكل انجلو ينتمي الى عصر النهضة ولكنه همومايكل انجلو قبل كل شيء،فالفرد نقطة البدء في كل شيء وهذا هو المبدا الحقيقي لكل ابداع.